مختصرات النحو، لإعانة المعلمين على أداء عملهم، وإعانة الدارسين على الإلمام العام الميسر لمسائله، وقد بدأت هذه المختصرات بالكسائى فى كتابه «المختصر الصغير» فى القرن الثانى، وتوالت المختصرات بعد ذلك فى القرن الثالث وما بعده.

هذا كله يدل على أن الفصحى أصبحت صناعة، وأن لغة العوام أصبحت عادة لا تحتاج لجهد فى النطق بها، ومن المتصور حينئذ أن لغة العوام لم تكن بصورة واحدة فى كل الأقاليم والأمصار، بل إنها لم تكن بصورة واحدة بين أهل مدينة واحدة كالبصرة مثلا، كما روى الجاحظ اختلافات نطقية متعددة عن أهلها من الفرس والنبط والعرب، بتأثير اللكنة واختلاف بنية الكلمات وترك الإعراب.

قال الجاحظ: إن الوحش من الكلام تفهمه الوحش من الناس. كما يفهم السوقى رطانة السوقى، وكلام الناس فى طبقات، كما أن الناس أنفسهم فى طبقات (١).

وقال أيضا: ومتى سمعت — حفظك الله — بنادرة من كلام الأعراب، فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها، ومخارج ألفاظها، فإنك إن غيرتها بأن تلحن فى إعرابها، وأخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين، خرجت من تلك الحكاية، وعليك فضل كبير.

وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام، ومُلحة من مُلح الحَشْوَةِ والطَّغام، فإياك وأن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخير لها لفظا حسنا، أو تجعل لها من فيك مخرجا سويا، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها، ويخرجها من صورتها ومن الذى أريدت له، ويذهب استطابتهم إياها، واستملاحهم لها (٢).

---

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٤٤.

(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٤٦.